ذروة السياحة الدينية الإسلامية

احتفال المصريين بموالد الأولياء الصالحين

تصوير وتحقيق:
مشيرة ومنير الفيشاوي

يتفنن المصريون في إقامة الاحتفالات بالمناسبات الدينية، حيث تشهد المدن المصرية كافة على مدار العام احتفالات صاخبة تختص معظمها بذكرى موالد أولياء الله الصالحين، لعل أهمها ذكرى المولد النبوي الشريف، والتي يجري الاحتفال بها في كافة أرجاء مصر ويليها من حيث الأهمية الاحتفالية ذكرى مولد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب حفيد رسول الله (ص) من ابنته السيدة فاطمة الزهراء، ثم موالد السيدات: زينب، ونفيسة، وعائشة (رضي الله عنهن جميعاً)، وتتركز مواقع تلك الاحتفالات بالميادين والشوارع والأزقة المحيطة بمساجد الأولياء المحتفى بهم، وجميع الأولياء المذكورين تقع مساجدهم بمدينة القاهرة، ثم يأتي مولد السيد البدوي بمدينة طنطا بمحافظة الغربية والتي تبعد عن القاهرة بحوالي 97 كم في المرتبة التالية وكذلك مولد سيدي المرسي أبو العباس بالإسكندرية (230 كم من القاهرة).

مسجد السيدة نفيسة في الليلة الكبيرة للإحتفال بمولدها

The Sayeda Nafissa Mosque

من ناحية أخرى فلا تخلو مدينة مصرية، وأكثر القرى المصرية من أولياء صالحين أو مشايخ أو أئمة أثروا في الناس، فكرمهم الناس بإقامة أضرحة ومقامات لهم ومساجد أو زوايا تحمل أسماءهم ومسجى فيها رفاتهم وأجسادهم الطاهرة، يزورونهم ويجاورونهم متلمسين البركة وابتغاء مرضاة الله، ويعد مريدوهم للاحتفال بذكرى مولدهم، وفاء لهم ولما بذلوا من أجل الإسلام وفي سبيله.

عادات فاطمية للاحتفالات الإسلامية

والاحتفال بالموالد والمناسبات الإسلامية المختلفة في مصر يحمل طبيعة خاصة وسمات مصرية خالصة لا مثيل لها، وتتعدد جوانب الاحتفال بالموالد وتحمل تفاصيل كثيرة جميعها تبعث البهجة في نفوس المحتفلين، والمصريون مرتبطون بعادة فاطمية، هي قاسم مشترك في معظم

بائع متجوّل Peddler

بائع الطراطير وخلفه أرجوحة Funfair

الاحتفالات ذات الصبغة الدينية الإسلامية، ألا وهي صنع وتناول أطعمة معينة تختص كل منها بمناسبات بعينها. ففي صباح أول محرم والذي يصادف اليوم الأول من السنة الهجرية الجديدة، يتناول المصريون في الصباح صحون المهلبية (المحلبية) أو الأرز بالحليب تيمنا وأملا بأن تصبح السنة الهجرية الجديدة بيضاء في لون الحليب وحلوة بمذاق السكر المذاب فيه. وخلال شهر رمضان المعظم يسرف المصريون في تناول حلوى الكنافة والقطايف المحشوتين بالمكسرات والزبيب وهما مصنوعتان أساسا من الدقيق (طحين الحنطة) والماء، ويضاف إليهما بعد نضجهما العسل أو السكر المذاب في الماء الحار (الشيرة). ومع قدوم عيد الفطر ينشغل المصريون بتصنيع أو شراء وتناول الكعك المغطى بالسكر المطحون علاوة على حلوى الغريِّبة والبسكويت وجميعها معجنات يابسة.

وقبل قدوم موعد الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بحوالي أسبوعين، تشهد أنحاء مصر كافة عمليات بيع وشراء حلوى هذه المناسبة بكميات مذهلة، وتأتي في مقدمة هذه الحلوى ألواح وأقراص يابسة بيضاء اللون منها ما هو مخلوط بالسمسم، ويدعى "السمسمية"، والمخلوط منها بالفول السوداني، ويدعى "الفولية"، والمخلوط بالحمص الأصفر الصغير، ويدعى "الحُمُّصية"، وهناك البعض منها المخلوط بكل هذا مع المكسرات ويسمى "أقراص العلف"، علاوة على عشرات من أصناف الحلوى الأخرى نذكر منها: الحلقوم "الملبن" والجزرية والشكرلة واللديدة المصنوعة من جوز الهند والعسل والمكسرات بأنواعها والتي يتم تصنيعها على شكل أقراص حيث يتم خلط المكسرات مع العسل المركز الذي يساعد على تلاصقها. ويتوج كل هذه الحلوى عروس المولد والتي يتم تصنيعها من السكر الخالص على شكل بنت أو امرأة ومزينة بأوراق لامعة على شكل عروس ليلة زفافها.

مظاهر الاحتفالات بالموالد

تسبق الاحتفالات بالموالد في مصر الكثير

من أشكال الإعداد المسبق، والتي تبدأ قبل أسبوعين على الأقل، حيث يتطوع الكثيرون من أبناء حي منطقة الاحتفال ومريدو الولي المحتفى به بتعليق الزينات والمصابيح الملونة ولافتات الترحيب بالمحتفلين وعبارات تبجيل للمحتفى به، وتقام السرادقات: البعض منها لإيواء وإطعام الفقراء والبسطاء القادمين من محافظات أخرى، والبعض الآخر لإقامة حلقات الذكر حيث يقوم المطربون الشعبيون المتخصصون بأداء وصلات غنائية شعبية إسلامية يعددون خلالها مآثر الإمام أو الولي أو الشيخ المحتفى بميلاده تصاحبها موسيقى آلات ذات طابع تراثي شعبي أو ريفي أو صعيدي كالربابة، وهي آلة وترية ذات وتر واحد تحتاج لمهارة خاصة في إحداث نغمات متنوعة رائعة، والمزامير والنايات، وهي عبارة عن أعواد من الغاب الطبيعي، بها حوالي ستة ثقوب تمثل السلم الموسيقي، علاوة على الطبول والدفوف والصاجات (الجمبرات)، مما يبعث البهجة لدى المتابعين الذين يهتزون يمينا ويسارا، وأحيانا ما تصل بالمتابع إلى درجة الانفصال عن العالم والتحليق في آفاق اللاشعور، خصوصا في سرادقات الطرق الصوفية المتعددة والمتنوعة.

وتشهد جنبات أخرى من موقع الاحتفال العديد من الألعاب التي يمارسها الكبار والصغار من الجنسين كالأراجيح، والنيشان بالبندقية الرش والتي تتيح لمن يصيب الهدف الحصول على قطعة ملبن (حلقوم) وفاء للعبارة المكتوبة على عربة النيشان "فتح عينك تأكل ملبن"، وألعاب القوة مثل رفع الأثقال ودفع العربة الحديدية المثبتة على قضيب حديدي، والشاطر هو الذي يفجر "البمبة". ويمارس البعض رياضة أو رقصة التحطيب وهي عبارة عن مبارزة بالعصي الخشبية على نغمات الموسيقى أو بدونها، ومصارعة الديوك، حيث تلتف حلقات من المشاهدين حول ديكين مُدَرَّبَيْن على العراك يمارسان هوايتهما الدامية، أو حول خيول ترقص بأقدامها برشاقة ونشوة على أنغام الموسيقى الشعبية والمزمار الصعيدي. وهناك الأضواء المبهرة التي تحيل ليل منطقة الاحتفال إلى نهار ملون بألوان المصابيح والزينات.

ميدان مسجد السيدة نفيسة وقد زينه أهالي المنطقة

The specially decorated Sayeda Nafissa Square

فرقة موسيقى شعبية

A local music group

"وخلال تلك الاحتفالات الصاخبة ينشط الباعة الجوالة في تسويق بضائعهم المتنوعة من السبح والسجاد اليدوي (الكليم) ولعب الأطفال والمنتجات الجلدية وغيرها، كما تنتشر العربات اليدوية التي تبيع المأكولات الشعبية ..."

The entrance of Sayeda Nafissa Mosque on mawlid night

مدخل مسجد السيدة نفيسة وقد اكتظ بالزائرين ليلة الاحتفال بمولدها

A marquee for the celebration

إحدى سرادقات الضيافة

وخلال تلك الاحتفالات الصاخبة ينشط الباعة الجوالة في تسويق بضائعهم المتنوعة من السبح والسجاد اليدوي (الكليم) ولعب الأطفال والمنتجات الجلدية وغيرها. كما تنتشر العربات اليدوية التي تبيع المأكولات الشعبية الرخيصة كالكشري المصنوع من الأرز والمعكرونة والعدس المخلوطة ببعضها والمبللة بالمرق الأحمر والبهارات، وعربات الفول والفلافل، وعربات حمص الشام التي تقدم الحمص المسلوق والمغمور في مائه مع بعض البهارات والليمون والشطة الحارة، وعربات تبيع صحون المهلبية والجيلي والأرز بالحليب والبسبوسة والكنافة وغيرها، وحتى العربات التي تبيع الأكارع (الباجة) والمصران المحشو بالأرز.

وتفتح المحال التجارية بمناطق الاحتفال أبوابها حتى الصباح وكذلك المطاعم، وتزدهر المقاهي بروادها الذين يتناولون مشروبات الكركديه وتمر الهند والخروب والعصائر الطازجة، والمشروبات الساخنة ذات الطابع المصري كالحلبة والقرفة والزنجبيل والينسون والسحلب، علاوة على الشاي والقهوة وتدخين الأرجيلة التي يطلق عليها المصريون اسم "الشيشة" والتي تفننوا في تصنيف وتنويع مذاق تبغها بنكهات عسل قصب السكر أو التفاح أو الأناناس أو الخوخ أو الموز والعديد من نكهات الفواكه الأخرى.

وبذلك تتحول ذكرى ميلاد أولياء الله الصالحين إلى أعياد ومهرجانات شعبية صاخبة تسعد الفقير قبل الغني، بل وأحيانا كثيرة ما تسعد كلاهما، حيث يوقت الأغنياء مواعيد الاحتفالات ببعض الموالد للوفاء بنذور يكونوا قد قطعوها على أنفسهم فيطعمونهم أو يوزعون الأموال أو الملابس على الفقراء.

وهكذا يسعد الجميع فيشبع الجائع ويشرب الظامئ ويستر العاري، وينسى الجميع همومهم، وينصهرون في بوتقة واحدة على مدى ليال متعددة هي فترات الاحتفالات بالموالد في مصر، والتي تصل ذروة الاحتفال بها إلى يوم المولد نفسه والذي يسميه المصريون بـ "الليلة الكبيرة"، والتي تنتهي عند بزوغ شمس صباح اليوم التالي، مخلفة وراءها الشعور بالفرح والبهجة للمحتفلين. ■